مودة

بعد أربعين عامًا من الزواج، جلس زياد وسما في نفس البلكونة التي شهدت آلاف الحكايات، يتأملان العمر الذي مرّ بين ضحكةٍ وخناقةٍ صغيرة وكوبَي شاي لا يكتمل طعمهما إلا بوجودهما معًا، كانت التجاعيد قد زارت وجهيهما برفق، لكن الحب بقي شابًا كما هو، يختبئ في نظرةٍ طويلة، أو دعوةٍ صادقة، أو سؤالٍ "يومي من سما: "أكلت كويس؟.

وحولهما كانت الحياة التي بنياها معًا تضحك بصوتٍ عالٍ، أبناءٌ كبروا على دفء هذا البيت، وأحفادٌ يملأون المكان ضجيجًا وركضًا وأسئلةً لا تنتهي، بينما يجلس زياد وسطهم يحاول أن يبدو حازمًا، فتفسد سما خطته دائمًا وهي تُعطي الأحفاد الحلوى سرًّا ثم تنكر بكل براءة.

تذكّر زياد أول مرة رأى فيها سما، وكيف ضاع منه الكلام، ثم ضاع بعده عمرٌ كامل وهو يحاول إقناعها أنه "صاحب قرار" داخل البيت، بينما كانت هي تبتسم في هدوء العارف بالحقيقة، وعلى مدار أربعين سنة، لم ينتصر زياد في أي نقاش تقريبًا، لكنه كان يخرج دائمًا راضيًا، لأن الهزيمة أمام سما كان فيها نوع غريب من الطمأنينة.

أما سما، فما زالت حتى اليوم تحفظ تفاصيله الصغيرة، تعرف من صوته إن كان متعبًا، ومن صمته إن كان حزينًا، وما زالت تُخبئ له قطعة الحلوى التي يحبها، ثم تدّعي أنها "مش عايزاها"، فقط لتراه سعيدًا كطفلٍ صغير.

وفي نهاية السهرة، أمسك زياد يدها المُتعبة من سنوات العطاء، وقال ضاحكًا: "تخيّلي بعد كل السنين دي... لسه بخاف منك شوية"، فضحكت سما بنفس الضحكة التي أحبها منذ أربعين عامًا، وعرف وقتها أن بعض القلوب لا يغيّرها الزمن، بل يجعلها أجمل وأقرب وأكثر دفئًا.

.